

السؤال

ما هو المذهب الذي شعاره (لا إله ، والكون مادة) ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

هذا واحد من شعارات الشيوعية (communisme) ، وهو مذهب مادي في نشأته ، وكذلك في فكرته ومنهجه وفلسفته ، يرفع شعارات أخرى توحى باستغراقه في المادية إلى حد الإلحاد ، منها مثلا : " وحدة العالم تنحصر في ماديته " ، " المادة سابقة في الوجود على الفكر " ، " لم يكن هناك وقت لم تكن المادة موجودة فيه " ، " الإنسان نتاج المادة " ، " الفكر نتاج الدماغ ، والدماغ مادة " .

ويخطئ من يظن أن الشيوعية أو بشكل أدق " الاشتراكية " ، مجرد مذهب اقتصادي ، بل هي فلسفة مادية في تفسيرها للعوامل المؤثرة والطبيعة الاجتماعية ، وتعتمد المادية الجدلية : (الديالكتيك) في تفسيرها للتاريخ .
أصح النظريات في أصل نشأتها : أنها واحدة من الأفكار التي تشكلت في عقول المجتمعات الغربية نتيجة الصراع مع الكنيسة ورجال الدين عبر قرون متطاولة ، حيث كان الظلم والطغيان والاستبداد شعار تلك الفترة ، فظهر الإلحاد ، وظهرت العلمانية والشيوعية والرأسمالية وغيرها من المبادئ كبديل عن عصور الظلام المتطاولة ، فحكمت وما زالت تحكم تلك المجتمعات ، بل أصبحت مناهج في التفكير ، وفلسفات يؤمن بها أتباعها ، ويُنظرُ لها أصحابها .
وقد كتب العلماء والمفكرون الكثير عن المادية الشيوعية ، ننقل هنا شيئا من أظهر وأوضح ما كتب ، حتى نصل إلى تعريف موجز بهذا المبدأ .

جاء في "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة" (ص929- 934) :

"الشيوعية

1- التعريف :

الشيوعية مذهب فكري يقوم على الإلحاد ، وأن المادة هي أساس كل شيء ، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات ، وبالعامل الاقتصادي .

ظهرت في ألمانيا على يد (ماركس 1883 م) و (إنجلز 1895 م) ، وتجسدت في الثورة البلشفية التي ظهرت في روسيا سنة (1917م) بتخطيط من اليهود ، وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنار . و (لينين 1924 م) هو الذي وضع الشيوعية

موضع التنفيذ ، وبعده

(ستالين 1954م) سكرتير الحزب الشيوعي .

2- أهم الأفكار والمعتقدات :

- إنكار وجود الله تعالى وكل الغيبات ، والقول بأن المادة هي أساس كل شيء .
- فسروا تاريخ البشرية بالصراع بين البرجوازية ، والبروليتاريا ، (الرأسماليين والفقراء) ، وينتهي هذا الصراع حسب زعمهم بدكتاتورية البروليتاريا .
- يحاربون الأديان ، ويعتبرونها وسيلة لتخدير الشعوب ، وخادماً للرأسمالية والإمبريالية والاستغلال .
- يحاربون الملكية الفردية ، ويقولون بشيوعية الأموال وإلغاء الوراثة .
- إن كل تغيير في العالم في نظرهم إنما هو نتيجة حتمية لتغير وسائل الإنتاج ، وإن الفكر والحضارة والثقافة هي وليدة التطور الاقتصادي .
- يقولون بأن الأخلاق نسبية ، وهي انعكاس لآلة الإنتاج .
- يعتقدون بأنه لا آخرة ولا عقاب ولا ثواب في غير هذه الحياة الدنيا .
- الغاية عندهم تبرير الوسيلة .
- يقول لينين : " إن هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بشيء ، إنما الشيء الهام هو أن يصبح الربع الباقي شيوعياً " .

3- الانتشار ومواقع النفوذ :

حكمت الشيوعية عدة دول ، منها : الاتحاد السوفيتي ، الصين ، تشيكوسلوفاكيا ، المجر ، بلغاريا ، بولندا ، ألمانيا الشرقية ، رومانيا ، يوغسلافيا ، ألبانيا ، كوبا .

انهيار الماركسية :

انهارت الشيوعية في معارقلها بعد قرابة السبعين عاماً من قيام الحكم الشيوعي ، وبعد أربعين عاماً من تطبيق أفكارها في أوروبا الشرقية ، وأعلن كبار المسؤولين في الاتحاد السوفيتي قبل تفككه أن الكثير من المبادئ الماركسية لم تعد صالحة للبقاء ، وليس بمقدورها أن تواجه مشاكل ومتطلبات العصر ، فافتنح الجميع بأنها نظرية فاسدة يستحيل تطبيقها ، حيث تحمل في ذاتها بذور فنائها ، ومن أكبر ناقد الماركسية من الماركسيين أنفسهم الفيلسوف الأمريكي أريخ مزوم في كتابه " المجتمع السليم " ، ومن غير الماركسيين كارل بوبر صاحب كتاب : " المجتمع المفتوح " ، وغيرهما ، ويجيء جورباتشوف بكتابه " البيروسريكا أو إعادة البناء " ليفضح عيوب تطبيق الشيوعية في الاتحاد السوفيتي " انتهى باختصار .

والحاصل أن مبادئ الشيوعية مبادئ كفرية ، لا يجوز لأحد اعتقادها ولا الإيمان بها ولا الانضمام لأصحابها المؤمنين بها ، وقد صدرت بذلك فتوى من مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي ، يمكنكم مراجعتها على (هذا الرابط) والله أعلم .